الزمان - السنة الثالثة عشرة العدد 3625 الاثنين 7 من رجب 1431 هـ 21 من حزيران (يونيو) 2010م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/13. Issue 3625 Monday 21/6/2010

ملف

حمامة بيضاء تناغي وطنها

لسنا أمة طاردة لمبدعيها تهمش من كان صوته خلاف اصوات الجوقة، نحن نجل المبدعين ونحترم الاختلاف ونقدس الحرية.
هذا الملف تذكير بنتاج احدى المبدعات المهاجرات صوب المنفى استذكرناها وهي هناك في باريس تناغي وطنها مثل حمامة بيضاء تنتظر بشوق مواعيد اللقاء والعودة والحب.

(الزمان)

الغربة في روايات عالية ممدوح

هديل عبد الرزاق أحمد

بغداد

يبدو أنّ تجربة الغربة التي عاشتها الكاتبة - والتي تزيد على ربع قرن - أتاحت لها فرصة أفضل في التعبير عن مدى قسوة هذه التجربة وصعوبتها، فالكاتبة - كما هو معلوم - في تماس حسي مع حياة المنفي أو المغترب بأدق مفرداتها اليومية - مع عدم إغفال جانب التجريب في إبداعها - فالإبداع بشكل عام يتفاعل مع الواقع، وينطلق منه، ويرتبط بمراحل التطور الاجتماعي والسياسي، مع السعي الدائم نحو التجريب والتجديد في الأشكال والمضامين، إذ يمكن أن نعد رواية " التشهي " ضمن المسار التجريبي، فهي تنتمي إلى النمط الغرائبي، ثم إنها تذكرنا برواية " المسخ " لكافكا، لاسيّما إن هناك تشابهاً - ولا نقول تطابقاً - كبيراً وملحوظاً بين شخصيتي (سرمد) و(غريغور)، في بعض التحولات الحاصلة لكل منهما، وفي نظرة الآخرين لهما، فضلاً عن تشابه أفكارهما إلى حد ما. تنظر (التشهي) ص 13 - 17. وتنظر (المسخ) ص 5 - 6، 23 - 28. فالعضو التناسلي لا يمكن أن يضمر أو يختفي في الواقع، لكن بوصف الرواية جنساً لا يرتكز على الواقع فقط بل يعتمد على التخييل بشكل واسع، فإنها تمكنت من استيعاب وإبراز مظاهر الغرائبية التي تأتي في أغلب الأحيان لتشير إلى رمز معين تريد الرواية - أية رواية - أن تدل عليه.

وإذا كانت موضوعة (الغربة / المنفى) لم تتبلور في الرواية العراقية بشكل يستحق الدراسة، لاهتمام روايات الغربة أو المنفى - الملفت للنظر - بالمكان والزمان الوطنيين، دون انفتاحها على الآخر مكاناً وزماناً إلاّ في الروايات الصادرة بعد العام 2003 - كما يؤكد أحد الباحثين - فإنّها يمكن أن تعدّ ظاهرة متنامية الحضور في بعض روايات الكاتبة، إذ يتجلّى الآخر بزمانه ومكانه وشخوصه في عالم الكاتبة الروائي، ويبرز في (الولع، والمحبوبات، والتشهي) بشكل يمكّن كلّ واحدة منها أن تعدّ رواية غربة بامتياز، لأنها من جهة كتبت في الغربة، ومن جهة أخرى عالجت موضوعات تخص الغربة والإنسان المغترب، مع التركيز على مختلف ما يمكن أن يصادف هذا المغترب، من أزمات تمر به، تفصح له بدورها عن موقف الآخر منه ونظرته له. فنحن - بحسب قول د. يمنى العيد عن الكاتبة - (أمام روائية مسكونة، في ما تكتب من روايات بحمولة الذات وأمكنة عيشها. الذات الأنثوية، العراقية، المتبصرة في الآخر، المختلف... الذكر... و... الأنثى... الآخر : العراقي والعربي والغربي. الآخر الذي يؤرق الذات ويمسك بالعلاقة معه، خيط الكتابة وينسج سرها).

وتسعى الكاتبة في رواياتها نحو تصوير أدق التفاصيل النفسية والسلوكية للمنفيّين والمهاجرين، فتطرح في رواياتها هموم الإنسان العراقي المغترب في المنافي ومعاناته، وترصد بدقة الخراب النفسي والاجتماعي الذي يترتب على انفصال الفرد عن وطنه بشكل عام، أو من فرّ منه بعد أن تحول إلى ساحة للقمع والاضطهاد والموت. مستكشفةً بشكل صريح وواضح التمزقات المباشرة وغير المباشرة في نسيج شخصية المغترب، ومسارات التحولات الظاهرة والدفينة، سواء في تفكيره، أم توترات حياته، أم في علاقته مع الذات والآخر - أيّاً كان هذا الآخر - أو علاقته بالموجودات في بلده الذي غادره وفي البلد الذي غادر إليه، وأساليبه في محاولة التكيف مع الحياة الجديدة، وما يرافقها من حواجز كاللغة، وإشكالات تأسيس الهوية الجديدة وصلتها بالهوية القديمة،... وغيرها.

وقد عالجت الكاتبة هذه المشكلة الحياتية في رواياتها التي اتخذت من (المنفى والغربة) فضاءً لمتخيل عالمها الروائي بشكل واضح وصريح وملح، معبرة من خلالها عن الأزمة الإنسانية الكبرى التي يواجهها الإنسان المغترب - لاسيّما العراقي - وهو يتنقل في بلدان الخارج المختلفة، بحثاً عن موطئ قدم له، أو بلد يأويه بعد تركه لوطنه الأم. وهو ما نجده متبلوراً في رواية (الولع)، حين تؤدي التنقلات المستمرة من بلد إلى آخر والتي تفرضها (هدى) على ولدها (مازن) - بسبب تدهور وضع العلاقة الزوجية مع زوجها (مصعب) - إلى تأزم الوضع النفسي والحياتي لـ (مازن)، بسبب انعدام الاستقرار في مكان بعينه، أو الإحساس بأي نوع منه، وكما يبدو واضحاً في قول (مازن)، (كانوا ينتقلون بي من دار في الأعظمية إلى حي المأمون، ومن هناك إلى حي الجامعة، وبعد تخرج هدى من الكلية غادرنا إلى الشويفات في لبنان، ثم إلى الحازمية، وبعد ذلك إلى كورنيش المزرعة في بيروت، آخر بيوتنا هناك قبل أن يضرب ويحرق نصفه. ترحلت بين جميع تلك الدّور وكأنني يومياً أولد في مكان، فأشعر بالخطر أولاً، وسرعان ما أعتاد حتى أنتقل إلى مكان آخر. أمّا المدارس فأنا لم أعد أتذكّر إلاّ أهمها في ذاكرتي)) الولع، ص 182.

فالكاتبة تركز على فقدان (مازن) إحساسه بهويته وانتمائه بسبب هذه التنقلات المستمرة، التي تؤدي إلى تحوله إلى شخص غير واثق من نفسه، ولا يشعر أنّ له أية قيمة، بل يشعر دوماً بانعدام الأمان والطمأنينة، أو كأنّه أشبه بحقيبة سفر، وأنّه إنسان بلا جذور، أو أنّ جذوره غير متأصلة لكونه موجوداً في بلاد هي ليست بلاده، وكما يبدو واضحاً في قوله (جذوري ليست متأصّلة في هذه الأرض، لكنّي أنزلق في هذه التربة، وماعلي إلاّ أن أضاعف خطوي، وإذا ما توقفت لثانية فستضرب عنقي) الولع، ص 29.

وحين يحاول أن يبحث عن ذاته وأن يحقق وجودها ويثبتها أمام الآخر بسلوكه طريق العلم والعقل فيتخرّج مهندساً الكترونياً، ليعمل في شركة بريطانية / أمريكية للإلكترونيات، محاولاً تأسيس هويته الجديدة، مطبقاً من أجلها كل التعاليم التي تجعل منه إنساناً يليق بهذا المجتمع الذي يعيش فيه، فإن إحساسه بالانتماء الحقيقي لا يتحقق، بل يبقى يشعر بانتمائه لأكثر من هوية، وهو ما يتضح في قوله (أنا الطير العراقي الذي تعلّم السرعة وعدم التردد، تعلّم الانتساب للعلم والعقل والتغلغل الى نوع من البرودة في الاتصال بالآخرين... أنا مازن ابن مصعب... أنا نبات تمتدّ جذوري في الأكوان، والعوالم والفضاءات الأخرى.. إنها موجودة أنا أحدس بوجودها، لكنّي لم أتأكد من ذلك بعد.. وما علي إلاّ إثبات ذلك في يوم ما). الولع، ص 121.

ومن جهة أخرى وفي رواية أخرى هي (المحبوبات) نجد محاولة شخصيات الكاتبة التعبير عن اعتزازها بهويتها والحفاظ عليها ومحاولة تثبيتها بأشكال وطرائق متعددة، كممارسة الرقص الشعبي، والاهتمام بكل ما يتعلق بالتراث الشعبي والمحلي، ومحاولة الحفاظ على اللغة المحلية الأم من خلال التواصل معها، فضلاً عن الحفاظ على ممارسة بعض الشعائر النذرية، والحرص الشديد على تناول بعض الأكلات الشعبية العراقية الشهيرة. فـ (سهيلة) تعبر عن اعتزازها بهويتها، وتحاول الحفاظ عليها من خلال عدّة أمور منها استمرارها في ممارسة التمثيل والرقص الشعبي في مسارح أوربا، كما كانت تمارسه من قبل في مسرح أبيها في بغداد، فالرقص لديها هو انتماؤها وهو المعبر عن إحساسها بهويتها الثقافية والوطنية، فهي كما تقول عنها طبيبتها النفسية وجد (كانت تسكنها روح الرقص العراقي القديم من طقوس السومريين حتى الوقت الحاضر. تعد الرقص طريقة للتحرر ولرفع النبذ عنها بالدرجة الأولى وعن بلدها) المحبوبات، ص 77. إذ ترى رقصها بمثابة الوسيلة لتواصلها مع الآخرين أيّاً كانوا، لا سيّما أنّها تعاني عدم إتقانها لغة الآخر لذا فهي تعد رقصها وفنّها بمثابة اللغة التي تتواصل من خلالها مع جميع البشر، فهو (كالغريزة في جسمها... هو حارسها لكي تبقى عراقية) المحبوبات، ص 93.

وتعد اللغة أحد أهم الوسائل في التعبير عن الهوية والانتماء بالنسبة للفرد، وتركز الكاتبة على مسألة تعامل المغترب مع لغته الأم، واللغة الجديدة. فالمغترب ربما يحاول الحفاظ على لغته من خلال إصراره على تداولها والتلذذ بها كما يبدو واضحاً لدى (نادر) في رواية (المحبوبات)، إذ على الرغم من أنّه يبحث عن موطئ قدم له ليستحق حظوة / إكليل الجنسيتين (المباركتين - الإلهيتين)، اللتين سوف يحصل عليهما قريباً - الكندية لأنه يعمل ويعيش هناك، والبريطانية لزواجه من (سونيا) ذات الأصول الفارسية الهندية، التي تحمل الجنسية البريطانية - إلاّ إنّه يظهر تمسّكاً كبيراً بهويته، ويسعى إلى الحفاظ عليها بشكل دائم، فهو يحب لغته المحلية ويعتزّ بها كثيراً هو وأمه (سهيلة)، ويحب التحدّث بها، إذ يشعر بوجوده وانتمائه من خلالها، ويشعر بالضيق من اضطراره التحدّث باللغات الأخرى، لضرورة التواصل مع الأفراد الذين يمثلون واقعه الجديد، وهو ما يبدو واضحاً في قوله الذي يتضح فيه اعتزازه بلغته، ومدى حبه لها بوصفها تعبيراً عن الإحساس بالذات والانتماء بالنسبة له بوصفه فرداً مغترباً، إذ يقول (نتحدّث الإنكليزية في المنزل، والفرنسية في الشركة. أمّا العربية، فأتكلّمها مع سهيلة حين تحضر، حينها نشعر بأنّ سونيا تتضايق. نحب لغتنا كثيراً ونحن نتبادلها، لكننا نخلفها وراءنا حين تكون بيننا. عندما تغيب... نهجم على العربية كأنّها طعام الجنّة. نتمازح، نتشاجر بها، نتباهى ونتذكر البلد، والدنيا، والبيت القديم) الولع، ص 31. على العكس من مازن الذي يعاني مشكلات في لغته فيتحدث عن (انقشاع، اضمحلال، تآكل، فقدان خيوط،... الخ) لغته المحليّة، والتي تحلّ محلّها، وتتربع على عرش كلامه، لغة الآخر - الإنكليزية - معبراً في هذا عن مديات التحوّل الذي تحدثه الغربة له، ومعاناته ذلك، إذ يقول (لقد بدأت لغتي العربية تتضاءل... وأنا أكتب لهدى خطاباتي بالعربية، لكن بلكنة أجنبية. فأبدو مضحكاً وعصبياً عندما أجلس منذ الصباح حتى المساء، وأنا أفكر بكيفية كتابة تلك الخطابات، إنّه كفاح حقيقي، لا أحد يلاحظه، إلاّ أمثالي الّذين قدموا إلى هذه البلاد، وتأرجحوا بين اللغتين أو الثلاث... كنت أصرخ في الكلمات وأطلب مغفرتها مردداً تعالي أيتها العزيزة، الصامتة، المتعالية. تعالي وكفي عن التحديق في الورق، وبين السطور... قررت أن تكون لغتي الإنكليزية كما لو كنت لورداً بحق وحقيق، لكنّي كنت أرتعد أمام العربية الفسيحة، القوية والصعبة جداً، التي كنت أراها تندفع من أنفي وبلعومي، ولا أستطيع اللحاق بها، إذا ما علقت بين شفتي وتوقفت هناك)) الولع، ص 120. وقوله (لغتي العربية تتقوّض بالتأكيد قليلاً قليلاً، وقد تختفي هي الثّانية كما اختفى الإتحاد السوفيتي، كما اختفت حقب، أجناس، دول، شعوب) الولع 176. ولعل سبب اختفاء لغة (مازن) المحلية هو (مازن) نفسه، في محاولاته تأسيس هوية جديدة على أنقاض هويته القديمة التي لا يشعر بانتمائه لها ولا يستطيع الحفاظ عليها، إذ حتى طباعه تكتسب كثيراً من خصائص المجتمع الغربي، فلا يقف التأثير الذي أوجد هذا التحول لديه عند اللغة فحسب، بل يتضح فقدان الهوية بالمعنى المادي، واستشعاره لهذا الفقدان حين يجد أنّ طباعه، وعاداته، وسلوكياته - في الباطن والظاهر - تكتسب شيئاً كثيراً من خصائص المجتمع الجديد، وفي المقابل منه، فإنّها تفقد كثيراً من خصائص المجتمع القديم - ولعلّه بشكل لا إرادي - وكما يبدو واضحاً في قوله (تعلّمت... من الإنكليز... أن أضع عواطفي وأحاسيسي في آخر طبقة من الجلد والروح وأتشبث بالعلم. لا أحب السراويل الأنيقة ولا الأحذية المصبوغة لا أرتدي رباطاً على قمصاني القطنيّة الطويلة الأكمام، ولا أحب الحلاقة كل يوم. أرتدي البلوجينز وأحذية الرّياضة، والشورت المبقّع بالأصباغ) الولع، ص 31.

وتعبر الكاتبة في رواياتها عن حنين المغتربين إلى بلادهم التي غادروها، فتمتلئ رواياتها عموماً بالحنين إلى الماضي، وبحلم العودة إلى البلاد. فيستذكر (مازن) في رواية (الولع) ماضيه بما يحتويه من مواطن للذكريات وأشخاص عاش معهم أياماً يحن إلى أن تعاد من جديد.

أمّا (المحبوبات) التي تعبر عن الغربة بوصفها أزمة إنسانية، فتتخذ من موضوعة الغربة إطاراً يحيط بأجواء عالمها بشكل عام، إذ تركز على محنة الإنسان العراقي المغترب ومحنته في غربته ووحدته، فيمكن القول أنّ أغلب الشخصيات فيها هم مغتربون عن بلادهم، ويملأهم الحنين لها، ويحلمون بالعودة.

وفي رواية (التشهي) يرتبط الحنين للبلد بصلة عميقة بعنوان الرواية، إذ نجد فيها (سرمد) الذي لا يحن إلى بلده - ولاسيّما حي الوزيرية منه - بل يتشهى تلك البقعة التي عاش فيها، لاسيّما أنّه يُجبر على مغادرتها بسبب تهديد أخيه (مهند) له. وتمتلئ صفحات الرواية بالحنين إلى الحبيبة والوطن، وبآلام الفراق التي نجدها تتمركز في (سرمد) تحديداً، والذي يؤلمه أن يموت بعيداً عن بلده ومدينته، لاسيّما أن غربته تعدّ أحد أهم الأسباب التي تؤدي إلى حدوث أزمته الصحية.

النفتالين : حبّات العذاب الأبدي

حسين سرمك حسن

دمشق

كنّا قد كتبنا دراستنا التحليلية (الولع المميت.. والأنوثة المشروخة) عن رواية المبدعة (عالية ممدوح) (الولع) قبل أن تنضج فكرة وضع مخطوطة كتاب عن منجزها الإبداعي، وقبل أن تقع بين أيدينا نسخة من روايتها (حبات النفتالين) (دار الآداب - بيروت - 2000) في دمشق لأن أي عمل لعالية لم يصل بغداد منذ عام 1990 وحتى الآن .

وقد وجدت - مثلما سيلمس القارئ بعد إكمال قراءة هذه الدراسة - أنّ تحليل رواية (حبات النفتالين) وهي أسبق في صدورها من رواية (الولع) قد أكد صحة أطروحاتنا عن رواية " الولع " من ناحية ووفر لنا فرصة نادرة لاستكشاف مكبوتات بطلة الأخيرة - بطريقة تراجعية - في لاشعورها الطفلي والتي طرحتها (عالية) على لسان بطلة (حبات النفتالين) طفلة ومراهقة من ناحية أخرى . وإذا كنا قد أمسكنا ببعض العوامل اللاشعورية التي أوصلت (هدى) إلى حالة (الأنوثة المشروخة) في (نضجها) في الولع، فإننا سنجد أن جذور هذه العوامل تمتد عميقاً في تربة الطفولة الهشة وخصوصاً في سنواتها المبكرة، وأنّ الشرخ الذي عانت منه (هدى) والذي أصاب بنيتها النفسية الأنثوية في مرحلة رشدها، كان قد أصابها وهي صغيرة، وبدأ يمتد ويتسع ويتشعب مثل الشرخ الصغير المهمل في لوح الزجاج الذي يصبح أخطبوطيا أو عنكبوتياً بفعل الهزات المستمرة) وتتساوى في ذلك الهزات الصغيرة والكبيرة على حدّ سواء في الوصول إلى نتيجة واحدة بمسارين مختلفين في المدة الزمنية المطلوبة . بل يمكن أن تكون الهزات الصغيرة غير المحسوبة أكثر فعلاً وأذى لطبيعتها التراكمية البطيئة التي لا تلفت انتباهة الشعور المراقب عادة . وقد تظافر هذان العاملان في وضع لبنات الركائز المشوهة التي تأسس عليها البناء النفسي المشروخ لاحقاً . فقد ترعرعت (هدى) خلال طفولتها في بيت كانت السيادة فيه لـ (ذكر) قامع مستبد هو الأب (جميل) معاون الشرطة الذي يدير معتقلاً للسجناء السياسيين . هذا (الذكر) هو أنموذج الرجل الأول في حياة هدى رغم أنها تعلن أن صديقها (محمود) هو رجلها الأول الذي اصطفته لنفسها وهي طفلة (ص37). كان الأب (طاووساً) يربك الحياة اليومية في الشارع الذي يسكن فيه حين يأتي من كربلاء - حيث المعتقل - كل أسبوعين لزيارة عائلته في بغداد . فكما تقول هدى - ولنلاحظ أنها (تتذكر) الآن تلك الحوادث بصورة " بعدية " - :

أن (الجميع يضرب لأبيها السلام.. شارة المعاون في الشرطة تدخل الشارع في الصمت والترقب.. المسدس يتدلى.. الآلة تلك تفعل فعلها في البيت والغرف... إذا مرّ النسوة يفتحن عباءاتهن ليرى الأجسام تتلاطم.. (السدارة) فوق رأسه، وعلى كتفيه نجمة واحدة . والبدلة الكاكية كانت تبرز طوله الفارع.. يمشي وكأنه طاووس. رشيق، وسيم، أسمر، عيناه حادتان بنيّتان متهورتان، أنفه طويل شامخ.. وجنتاه شاهقتان وشعره بلون الفضة العتيقة) (ص39) .

لكن هذا الأب الذي تفرط البنت في إضفاء السمات الإيجابية عليه هو رمز للتسلط الاجتماعي الذكوري المتعسف الذي كانت هدى نفسها من أول ضحاياه . فالبيت الصغير المتهالك يتحول إلى ساحة طوارئ قبل دخول الأب ثم إلى دائرة حرب بعد دخوله، قبل أن يصل يخترقهما - هي وأخاها (عادل) الذي يصغرها بسنة واحدة - ظله واسمه وصوته:

(نلتصق ببعضنا ببعض مثل الجراء المذعورة . كان بمقدوره أن يسمع نبضنا وهو في أول الشارع ونسمع ما يلوب بين أسنانه ونحن على وشك السقوط) (ص38) .

وهو لا يكتفي بهذا الإرهاب المعنوي حسب بل يمارس الإرهاب الجسدي أيضاً . وكان نصيب هدى من هذا العنف المؤلم هو الأكبر :

(كنا نجد الوسيلة الوحيدة كي يهدأ تماماً، حين يكون أحد أمامه، وربما أكون أنا : لا يا بابا.. الله يخليك، بس هذه المرة) (ص41) .

لكنه حتى في عنفه الجسدي يمارس عنفاً نفسياً أشدّ أذى زرع الشعور بالدونية الممزوجة بالنقمة في نفس هدى، ويتمثل في هذا التمييز المتعسف والولاء الأعمى الذي يبديه الأب لابنه الذكر رغم كون الأخير رعديداً . ففي الوقت الذي تعلن فيه هدى بأن أباها لم يكن يخيفها كما يخيف عادلاً وأمها، وتُظهر سلوكات معاندة واحتجاجية عليه، نجد الأب يرفع ابنه - وهو يسمع صوت بوله - مثل دمية ويقذفه إلى أعلى ويتلقفه رغم أن قطرات البول تتطاير على شعره معلناً بفخر أن هذا ابن أبيه (ص41). وقد بدأ الصدع الذي صار شرخاً في نفسها وهي تلاحظ أنّ القضيب الذي تُتهم الأنثى بأنها تعاني من " حسد الذكر " أو " حسد القضيب - envoy penile " - حسب أطروحة " سجموند فرويد " الشهيرة والذي لا نعلم لماذا لم يتذكر بأن الذكر قد يعاني بالمقابل " حسد الأنثى " لأنها ربّة خالقة - بسبب فقدانها له، يُعتز به من قبل الأب رغم أنه بوّال وصار مؤشراً للضعف وانحطاط الإرادة . وفي الوقت الذي يختزن وجدان الأنثى - في الطفولة والرشد - وظيفة اختراقية مهددّة لها من جانب هذه الأداة، فإنها قد شاهدت عياناً كيف أنها صارت مخترقة، هي والكيان الذكوري الذي تمثله وهو أخوها (عادل) البكّاء البوّال، والذي كان يبكي في حضنها كلما هدّده أبوه . وكانت - فوق ذلك - تتلاعب به وتسخر منه وتعنى به وكأنه (آلتها) الصغيرة هي نفسها :

(هو الأصغر، الأجمل، الأسمن، الأرق، كنت تقسمين العالم بينك وبينه.. هو النظام، الكآبة، والانفراد.. وأنت الفوضى، الصفاقة، والعنف..) (ص11) .

وليس غريباً في مثل هذه المرحلة من الطفولة أن تكون الفتيات - مثلما يحصل لدى الأولاد - في هيئة عصبة مغلقة لكن هدى كانت استثناءً .. فهي تنتعش وتمتلئ متعة وسط عصبة الأولاد، وكان (عادل) و (محمود) الأقرب إليها . ومع عادل كانت - بالإضافة إلى ما ذكرناه - تسوقها عواطف ملتهبة تجاه (موضوع حبّ) تعبر عنها بقولها :

(رأسه قوي، عيناه شاسعتان تنبعث منهما طوائف وأقليات، لونهما في الليل يخبئ صدى الرقة، وفي النهار ترتطم الأضواء في أمواجهما العسلية .. جميل .. مهيب .. يقف أمامك .. وتعرفين أن جماله كان عرسك) (ص11) .

وهذه الإفاضة لا تعبّر عن شدة الانفعالات التي تجمح بها نحو أخيها الأصغر فقط، وهما يرزحان سوية تحت السطوة المعذبة لأب قامع، ولكنها إفاضة انفعالية محارمية الطابع تصعد بها بالكائن الطفيلي العاجز إلى مصاف الصورة المتسيدة للأنموذج الأبوي كليّ القدرة، خصوصاً وأن هذا الأنموذج الأبوي كان واحداً من العوامل المهمة التي سدّت الأبواب في وجه تماهيها الصحّي الذي كان ينبغي أن يتحقق مع الأم وهي في هذه المرحلة الحرجة من النمو النفسجنسي . فقد وضع طغيان الأب الأم (إقبال) في موضع التابع مسلوب الإرادة . كانت خاضعة ذليلة ولم تجرؤ على الرفض . كانت هناك فجوة بين الأبناء وأمهم:

(لم نناداها ماما إلاّ في أوقات النجدة والخوف . فبعدما أنجبتنا أسدلت على موضعها الضيق ستارة كامدة من الكتمان)(ص13) .

وليس غريباً أن تحمّل البنت الصغيرة الأب - وهي التي تحمل تجاهه مشاعر ربّ أيضاً كما تقول - مسؤولية تدهور صحة الأم . هذا الأب الذي غرس في أعماق هدى (الغدر) الذكوري عندما تخلّى عن الأم المريضة وأمرها بالذهاب إلى مسقط رأسها، سورية، لغرض الحصول على الشفاء، لكنها ماتت هناك لتحصل عملية الانفصال النهائي عن الأم بعد أن عُزلت هدى وأخوها عن أمهما ليناما في غرفة جدتهما خوفاً من العدوى . وقبل سفر الأم جاءت عملية (الغدر) الأكثر ضراوة عندما تزوج الأب من امرأة ثانية (ممرضة عوراء من كربلاء) . وفي هذه اللحظة، ولأول مرّة تنفجر الأم لتثأر لكرامتها المهدورة . ولكن عن أي طريق ؟

عن طريق (نقل) العدوان من الأب/ الزوج الذي كان يستحم مسروراً بعد أن طعن الزوجة المسكينة بقرار زواجه، إلى كبش فداء غريب حيث جمعت قمصانه كلها ومزقتها شرّ ممزق . لكن عند هذه اللحظة تحقق الإنفصال النهائي عن الأب أيضاً بعد موقف الجدّة الصلب والحازم من ابنها / الأب عندما هددته بأنه لن يدخل البيت أبداً مع زوجته الجديدة . أي أن هدى قد فقدت في لحظة (هياج) نزوة أبوية الركيزتين الأساسيتين اللتين يشكلان مقوّم حياتها النفسية المركزية وهما : الأب والأم، وهي لم تتعد السنة التاسعة من عمرها.. وقد يُظن أن مغادرة الأب بيت العائلة ليعيش مع زوجته الجديدة امتثالاً لقرار الجدّة قد مثل منفذ خلاص لهدى تتخفف من خلاله من لهيب سياط العذاب الذي كانت تلاقيه على يدي الأب الذي لم يكن يتردد في ضربها بمسدسه على رأسها الصغير، ولا يتورع عن وصفها بـ(القحبة) يوم صعدت السطح وفتحت باب حجرة جدّتها وراحت تقلب أغراضها . كانت تلوذ بهذه الغرفة كمكافئ للرحم الأمومي الذي يمنح الأمان خصوصاً بعد أن جاءتهم الأخبار من سورية عن تدهور صحة الأم يوماً بعد آخر .. لكن الأب - وفي لحظة سكره - ظفر بها وهي (متلبسة) بالنظر من النافذة إلى السماء وإلى سطوح الجيران.